القدس عاصمة الثقافة العربية

الدار البيضاء – نورالدين سعودي

القدس، مدينة السلام، ترفع هذه السنة راية الثقافة العربية في عنان السماء، مؤكدة للعالم عراقتها التاريخية العربية المسيحية والإسلامية، في تحد باسل لآليات المنع الإسرائيلي ولمحاولات تهميش الوجود الفلسطيني بها وتهويدها.

المسجد الأقصى المبارك

يحتفي العالم العربي والإسلامي بمدينة القدس الفلسطينية عاصمة للثقافة العربية لسنة 2009. وبذلك تكون هذه المدينة العريقة قد أخذت مشعل الثقافة العربية من مدينة دمشق السورية، بناء على قرار وزراء الثقافة العرب أثناء مؤتمرهم الذي نظمته الألكسو عام 2006 .

الاحتفاء بمدينة القدس عاصمة للثقافة العربية هذه السنة على المستوى العربي والدولي يرمي إلى التأكيد على أن هذه المدينة جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967، وعلى مطلب الفلسطينيين في أن تكون عاصمة لدولتهم المستقلة و كذا على مكانتها في الوجدان الديني (الإسلامي والمسيحي) والإنساني. كما يهدف هذا الاحتفال إلى التشديد على هويتها الثقافية العربية، وهي أيضا مبادرة جريئة لمواجهة إجراءات الاحتلال الإسرائيلي ومخططاته لتهويدها.

إلا أن القدس، مدينة السلام، لم تنعم بهذه الفرصة لتعيش عرسها الثقافي السلمي بشكل طبيعي و ليتمتع بزيارتها

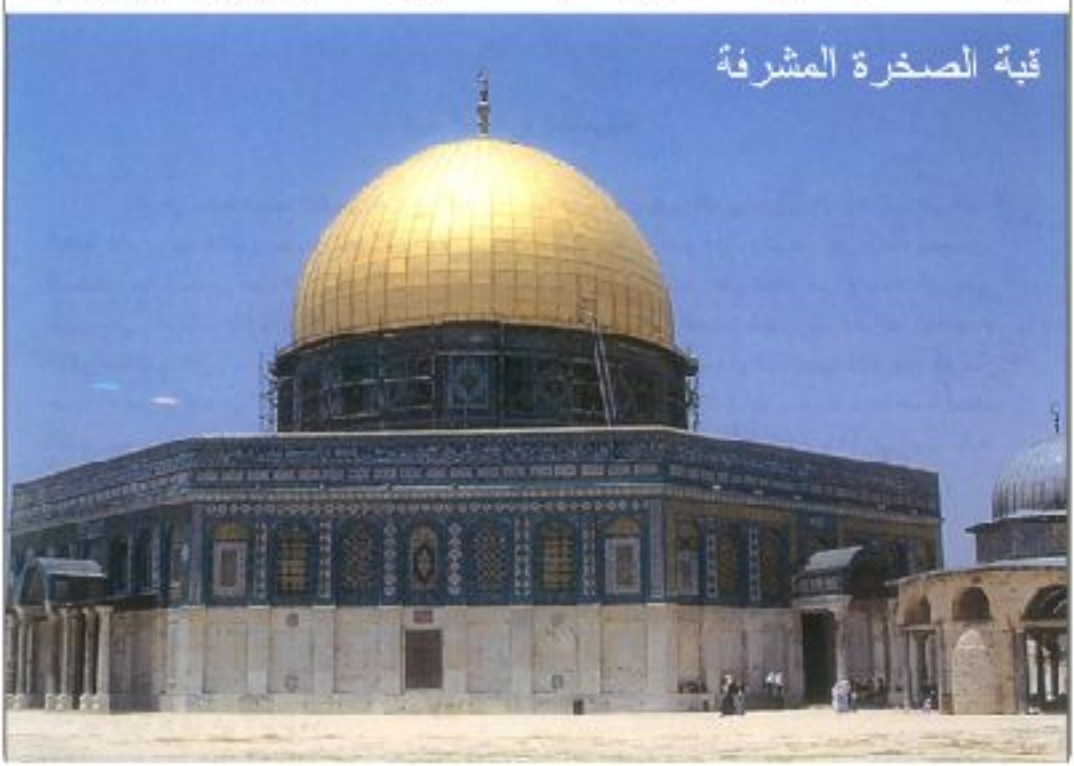
قبة الصخرة المشرفة

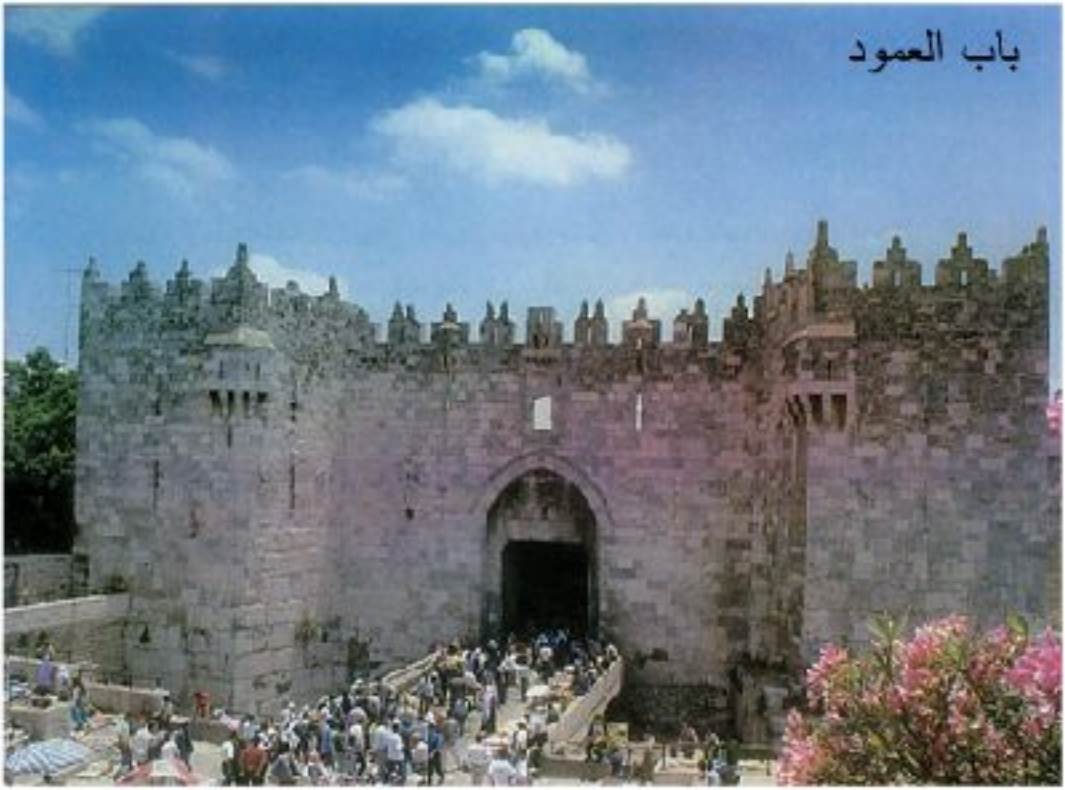

المثقفون والفنانون والسياح العرب والمسلمون والمسيحيون وغيرهم، حيث تأخر بصورة قسرية انطلاق أنشطة هذه التظاهرة لمدة شهرين بسبب الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في الأسبوع الأخير من سنة 2008، من جهة، ومن جهة أخرى إثر منع السلطات الإسرائيلية المحتلة لفعاليات هذا الاحتفال واتخاذها إجراءات مشددة لشل أية تظاهرة ثقافية بالمدينة. مما اضطر المسؤولين الفلسطينيين إلى نقل فعاليات الاحتفاء بالقدس عاصمة ثقافية للعرب إلى بيت لحم بالضفة الغربية التي ازدانت شوارعها بأعلام الدول العربية، حيث قال الرئيس محمود عباس بمناسبة إطلاق فعاليات الاحتفال يوم السبت 21 مارس/آذار: "نعلن اليوم أننا سنظل مخلصين لتلك الرسالة الخالدة نحملها جيلا بعد جيل وباسم بيت لحم والخليل وغزة ورام الله وكل مدينة وقرية في وطننا الواحد الموحد نقول للقدس أنت مفتاح السلام للبشر".

كما أقيم مهرجان تدشين الفعالية الثقافية

أمام مقر المجلس التشريعي وسط مدينة غزة الذي دمرته الصواريخ الإسرائيلية في يناير/ كانون الثاني الماضي وسط عروض للكشافة التي عرضت فرقا باسم الدول العربية والدبكات الشعبية وسط أنغام موسيقية بديعة.

المكان وذاكرته

مدينة القدس المحتلة، مدينة السلام وزهرة المدائن بمآذنها وقبابها وكنائسها وأسوارها وأبوابها العريقة، هي أرض الحضارات القديمة حيث احتضنت الديانات السماوية وإليها كان مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي تزخر بكنوز من الموروث الثقافي العربي بشقيه المسلم والمسيحي.

خلال زيارة أزقة البلدة العتيقة، قد تمر على "القيامة" في حارة النصارى وعلى " المسجد الأقصى" بمسار درب الآلام. تلك الحارات والأسواق والأماكن الدينية والمؤسسات والمراكز الفنية والثقافية كانت، إلى وقت ليس ببعيد، تعيش نشاطا ثقافيا هائلا، وسياحة زاخرة من أجانب (عرب وغيرهم) يزورون المدينة القديمة لاكتشاف مآثرها والتمتع بزخمها الروحي والحضاري.

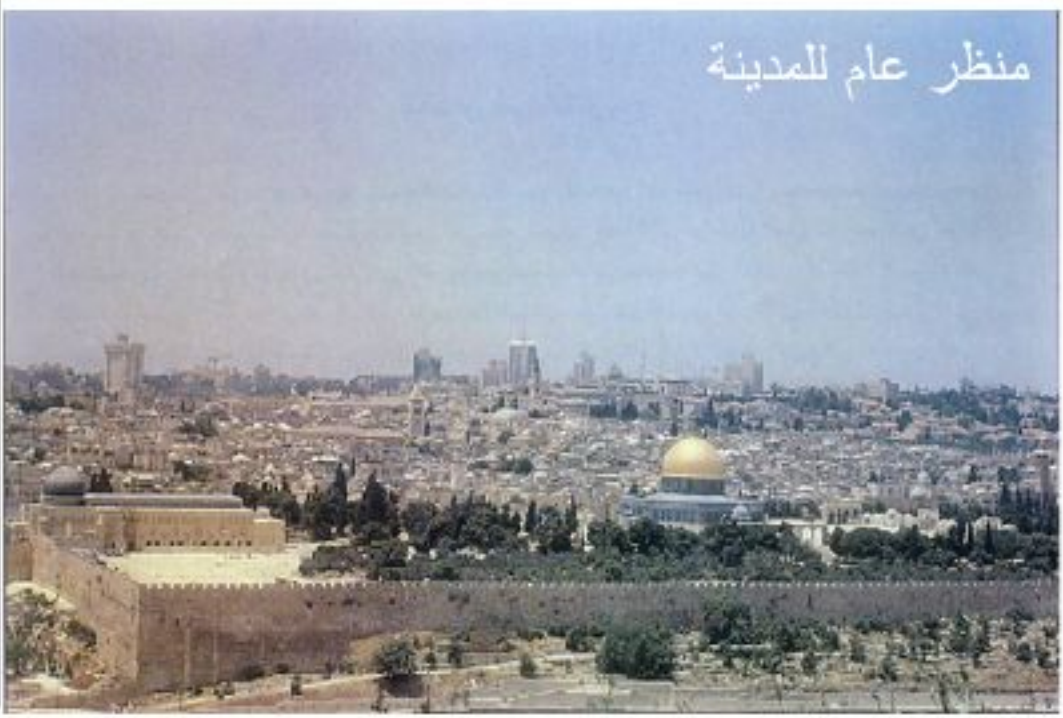
منظر عام للمدينة

كانت القدس ملتقى وطنيا ثقافيا على مدار العام بالنسبة لكل الفلسطينيين الذين كانوا يقصدونها من مدن الضفة الغربية وغزة وغيرهما. وكانت "الحكواتي" و"القصبة" مسرحا للقاءات ونقاشات ومسرح وسينما وعروض فنية. في شارع صلاح الدين سهر الرفاق والأخوة في صحف ومجلات فلسطينية لمقالات كان لها طعم آخر، صحف ومجلات "الفجر" و"الطليعة" و " و"الشعب" و"الكاتب"... وفي ساحة المصرارة، بضع خطوات من باب العمود، وفي داخل المدينة العتيقة كان كعك القدس بالسمسم والرائحة والمذاق المميز في انتظار الزوار، في ساعات ما بعد منتصف الليل، من الشباب والصبايا طلاب الجامعات الفلسطينيين من بير زيت ونابلس وغزة أو حتى من مدن فلسطين التاريخية الذين كانوا يقصدون القدس ليصلوها مع الفجر، أو ما قبل الفجر، بقليل ليكون الكعك والزعتر والبيض المشوي فطورهم المقدسي الذي لا ينسى.

هذه بعض النتف من ذاكرة هذه المدينة العريقة كما جاء على لسان الصحفية المقدسية "هيفاء أسعد"، وهي تستحضر أمجاد هذه المدينة التي صنعها جيلها.

كعك القدس بالسمسم والرائحة والمذاق

منذ سنوات طويلة تتعرض المدينة المقدسة إلى حملة منظمة وواسعة لتغيير هويتها الثقافية العربية ووجهها الحضاري والتاريخي والتراثي الإسلامي والمسيحي، من خلال سن القوانين العسكرية وتنفيذ إجراءات احتلالية تستهدف تهميش الوجود الفلسطيني في المدينة، ومحاولة فرض الأمر الواقع الإسرائيلي عليها. ومعلوم أن الحكومة الإسرائيلية قد عملت وفق خطة منهجية لتهويد القدس منذ عام 1973 أيام رئيسة الوزراء غولدا مائير عندما أوصت لجنة وزارية بألا يتجاوز عدد السكان العرب 22 في المئة من مجموع السكان آنذاك، وسارعت الحكومات المتعاقبة لسحب هويات العرب واستقدمت عشرات الآلاف من المستوطنين. كما استولت على مئات الهكتارات من الأراضي العربية حول القدس. وفي التسعينيات وسعت المدينة فضمت عددا من المستوطنات المجاورة باتت يهودية صرفة مثل جبل أبو غنيم، وأخيراً

قبر السيدة العذراء

قبة الصخرة المشرفة

أقامت الجدار العازل.
بناء عليه، يأخذ الاحتفاء بالقدس مشعلا للثقافة العربية في هذا الظرف بعدا أساسيا من شأنه أن يساهم في ترسيخ هويتها العربية وفي الترويج الإعلامي لهذا البعد على المستوى الدولي.

الحفريات والحساسيات الدينية

يلاحظ حال الانقسام والاستقطاب بين شطري مدينة القدس الغربي والشرقي. ويتركز هذا بشكل خاص حول الحرم القدسي، أو جبل الهيكل كما يسميه اليهود، وتبرز أبعاده الدينية والسياسية عند الحديث عن الحفريات التي تدور في محيط المسجد الأقصى، والتي كانت قد بدأت ما بعد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967.

كلا الطرفين، اليهودي والعربي، يستند إلى مقولات أركيولوجية ودينية، لتوكيد أحقيته بالمكان. الجانب الإسرائيلي–اليهودي يعد القدس رمزاً دينيا وسياسياً لهم، ويعتبرون الحائط الغربي مكان العبادة اليهودية الأساسي في القدس، وهو ما يطلق اليهود عليه اسم حائط المبكى، وأما العرب–المسلمون فيطلقون عليه حائط البراق.
وفي ظل هذه الرؤية الدينية–التاريخية، فإن الحفريات في محيط المسجد الأقصى تدور بغية توكيد أحقيتهم بالمكان. فإذا كان الإسرائيليون يعتبرون أن السور الخارجي للقدس والمحيط بالمنطقة التي تضم الحرم الشريف وجبل الهكيل، هو معلم أثري يهودي، فإن الجماعة الأكاديمية

الفلسطينية تنفي وجود أية أدلة مادية على ما يشير إلى الهيكل أو الآثار اليهودية، ويقولون بأن معظم الآثار التي وجدت إلى الآن تعود للبيزنطيين والأمويين من بعدهم.

من المؤمل أن تساهم الاحتفاليات بالقدس عاصمة للثقافة العربية هذه السنة في رفع بعض من الغم عن المقدسيين وباقي الفلسطينيين الذين من حقهم أن يعيشوا في وطنهم بكرامة وسلام.

العواصم الثقافية

أُطلقت فكرة العواصم الثقافية من المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي أقامته الأمم المتحدة في المكسيك العام 1982، والذي أُقر فيه برنامج العقد العالمي للتنمية الثقافية (1988-1997)، داعياً في فلسفته على ضرورة إجراء حوار ثقافي بين الشعوب يحترم مقومات الهوية الثقافية الوطنية ويراعي التنوع بين الحضارات على أساس وحدة القيم الجوهرية الإنسانية.

قبة الصخرة المشرفة

ومن أبرز ثمار هذا العقد اعتماد برنامج العواصم الثقافية الإقليمية خلال اجتماع اللجنة الدولية الحكومية للعقد العالمي للتنمية الثقافية في دورتها الرابعة في باريس العام 1994. وتبنت المجموعة العربية في اليونسكو العام 1995 مشروع إطلاق عاصمة ثقافية عربية بدءاً من القاهرة (1996) مروراً بتونس (1997) الشارقة (1998) بيروت (1999) الرياض (2000) الكويت (2001) عمان (2002) الرباط (2003) صنعاء (2004) الخرطوم (2005) مسقط (2006) الجزائر (2007) دمشق (2008) ومن ثم القدس العام 2009.